صورة الحاكم في أشعار الأمراء الأمويّين في الأندلس

Endülüs Emevi Emirlerin Şiirlerinde Yönetici Profili

Governor Image in The Poetries of Umayyad Princes in Andalusia

Ousama EKHTIAR[1]

Received: 01.04.2016 / Accepted: 10.05.2016

Öz

Bu araştırma, Emevî emirliği ve hilafeti dönemlerinde Endülüs Emevî emirlerinin şiirlerinde yöneticilerin profilini önemsemektedir. Bu araştırmadaki hedef, bize ulaşan şiirlerde Emevî yöneticilerinin profili ortaya konulmasıdır. Şüphesiz bu çalışma, yönetici ve halifelerin şiirlerinden hareketle ortaya konulan tarihi bilgi önem arz etmektedir. Aynı zamanda bu şiirlerden hareketle Emevî emirliği ve hilafeti döneminde kültürel, sosyal ve siyasi durumları da öğrenmek mümkündür. Bu araştırmada tarih kitaplarında geçen bilgiler ile şiirlerde geçen bilgilerin birbirlerine uyup uymadığını ortaya koymak için mukayese yapılmıştır. Bu çalışmada Emevî emirlerin şiirlerinde yönetici profilini şu üç başlıkta ele alacağız;

- *Endülüs Emevî emirlerin şiirlerinde özlem,*
- *Şiirlerinde idareciliğin temellerini güçlendirme yöntemi,*
- *Övgü ve idarecilik içerikli şiirlerdir.*

Bu çalışma, idarecilerin davranışlarına ışık tutması için, onların şiirlerinde emirlerin davranışlarının ortaya konulmasının hedefinin gerçekleşeceğini ve onların şiirleri bağlamında gerek özel ve gerek genel yaşantılarıyla alakalı önemli sonuçlara ulaşılacağını umuyoruz.

Anahtar kelimeler*: Endülüs'te emirlik dönemi, Endülüs'te hilafet dönemi, Emevî emirlerin şiirleri, vatan özlemi, idareyi güçlendirme, övgü.*

1 Doç. Dr. Bingöl Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi, ousama967mail.com.

Abstract

This research is interested in studying the poetry of Umayyad Princes of Andalusia, in the ages of both Umayyad Emirate and the Umayyad Caliphate ones. The aim of this study is to provide a picture of the princes of Umayyad in Andalusia through what came to us from poetry; it is no secret that this will be important because it is a historical document recorded by the prince or caliph tongue. And through it; we can imagine the political, social and cultural conditions in the Umayyad emirate's age and the Caliphate age. We will compare those poems and come in the historical sources of those prince's biographies, look between the poetries and the sources of consensus and differences.

We will discuss the cases of princes in poetries of Umayyad princes from three aspects:

- *Nostalgia in poetries of Umayyad princes in Andalusia.*
- *The method of consolidating the state in Andalusia through poetry.*
- *Pride in their poetries and its relation to governance.*

We hope that this study achieved its aim which is to see the conditions of the princes through their poems, to illuminate aspects of their lives during the period of their rule, and we hope to reach important results in terms of linking their poems to their own lives and public lives.

***Key Words**: Emirate age in Andalusia, Caliphate age in Andalusia, Poems of Umayyad princes, homesickness, consolidate the state, Glossary of pride.*

ملخص البحث

يهتمُّ هذا البحثُ بدراسةِ صورةِ الحاكمِ في أشعار الأمراءِ الأمويّين في الأندلس في عصرَي الإمارة الأمويَّة والخلافةِ، والهدفُ من ذلك معرفةُ أحوالِ الحكَّام الأمويّين في الأندلس من خلال ما وصلَ إلينا من أشعارهم، ولا يخفى أنَّ تلك الصَّورةَ ستكون مهمَّةً؛ لأنَّها وثيقةٌ تاريخيَّةٌ يسجِّلُها الأميرُ أو الخليفةُ، ومن خلالها يمكننا أن نتصوَّر الأحوالَ السِّياسيَّةَ والاجتماعيَّةَ والثَّقافيَّةَ في عصر الإمارة وفي عصر الخلافةِ في الأندلس، وسوف تُعْقَدُ موازنةٌ بين تلك الأشعار وما دوَّنَتْهُ المصادرُ التَّاريخيَّةُ من أخبار، لِننظرَ ما بين الشِّعرِ والخبرِ منَ التَّوافُقِ أو الاختلافِ، وسنتناول صورةَ الحاكم في أشعار الأمراءِ الأمويّين من ثلاثةِ جوانبَ هي:

1. الحنين في أشعار الأمراء الأمويّين في الأندلس،
2. تثبيت دعائم المُلْكِ في الأندلس من خلال أشعارهم،
3. الفخر في أشعارهم وعلاقتُه بالحُكْم.

نَأْمَلُ أنْ تحقِّقَ هذه الدِّراسةُ هَدَفَها من معرفة أحوالِ الأمراءِ من خلال أشعارهم، لإضاءةِ جوانبَ مِنْ حياتهم في مراحل حُكْمِهِم، وأنْ نَصِلَ إلى نتائجَ مُهِمَّةً على صعيد رَبْطِ أشعارِهم بحياتهم الخاصَّة والحياةِ العامَّة.

الكلمات المفتاحيَّة: عصر الإمارة في الأندلس، عصر الخلافة في الأندلس، أشعار الأمراء الأمويّين، الحنين، تثبيتُ المُلْكِ، الفخر.

صورة الحاكم في أشعار الأمراء الأمويّين في الأندلس

تمهيدٌ تاريخيٌّ موجزٌ

تأسَّسَت الدَّولةُ الأمويَّةُ في الأندلس بجهود الأميرِ عبد الرَّحمن الدَّاخل سنةَ (138 هـ) وبقيَتْ إمارةً يحكمُها الأمويُّون إلى أنْ أصدرَ الخليفةُ الأمويُّ عبدُ الرَّحمن النَّاصر مرسوماً أعلنَ فيه قيامَ الخلافةِ الأمويَّةِ في الأندلس سنةَ (316 هـ)[1] وكانت مرحلةُ حُكْمِهِ خيرَ العصورِ الأندلسيَّة، وقد شهدت الأندلسُ في عهده تميُّزاً حضارياً مُطَّرِداً في الثِّقافة والاقتصاد والعمران، وبعد وفاته ورثَ الخلافةَ وَلَدُهُ هشام المؤيَّدُ سنةَ (366 هـ) وكان هشامٌ غلاماً فاستقلَّ بالحكم وزيرُهُ الحاجبُ المنصورُ أبو عامرٍ محمَّدُ بنُ أبي عامرٍ، غير أنَّه حَكَمَ الأندلسَ بِاسمِ الخليفةِ هشامٍ، فحافظت الدَّولةُ الأمويَّةُ في عهد الحجابةِ زمنَ الحاجبِ المنصورِ على شيءٍ من قوَّتها مع بقاء صورة الخلافة، لكنَّها ضَعُفَتْ في عهدِ وَلَدَيهِ عبدِ الملكِ المظفَّرِ وعبدِ الرَّحمن المُلَقَّبِ (شنجول) وقد طَلَبَ (شنجولُ) الخلافةَ لنفسِهِ منَ الخليفة هشام المؤيَّد سنة (399 هـ) فأثار سَخَطَ الأمويّين، فعزلوا هشاماً المؤيَّدَ، وقتلوا شنجولَ سنةَ (399 هـ) ثمَّ شهدَت الأندلس صراعاً على السُّلطة أدَّى إلى تمزيق الدَّولة[2]، وانفرط عِقدُ الخلافةِ الأمويَّة في الأندلس سنةَ (422 هـ) بخلعِ أهلِ قرطبةَ للخليفةِ هشام الثَّالثِ المعتدِّ بالله،

[1] ابن عذاري، أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد، البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، دار الثقافة، بيروت، 1980م، 2/ 156.

[2] للتفصيل يُنظَر: كولان، الأندلس، ترجمة إبراهيم خورشيد وغيره، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، نشر دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1980م، 126 -129.

وأعقبَ ذلك اقتسامُ قادةِ الجندِ للبلادِ، فنشأَتْ دويلاتُ الطَّوائفِ الأندلسيَّة في هيئة إماراتٍ مستقلَّةٍ متناحرة.

الأمراءُ الأمويُّون والشِّعر

يُحفَظُ للأمراءِ الأمويّين في الأندلس اهتمامُهم بنشـــرِ المعارف والعلوم والفنون، وقد حَرَصَ كثيرٌ منهم على استقدام علماء المشرق إلى الأندلس، فانتشرت العلومُ، في حين كانت أوربَّةُ ترزحُ تحتَ سِياط الجهلِ والتَّخلفِ[1]، كذلك ازدهرَ الأدبُ والشِّعرُ، بل إنَّهم كانوا يَقْبَلون شفاعةَ الشِّعر لِصاحبه، فمن ذلك ما رُويَ أنَّ شاعراً أرسلَ إلى الأميرِ سليمانَ بنِ الحَكَمِ[2] معتذراً لِذنبٍ بِشِعْرٍ رقيقٍ، فكتبَ إليه الأميرُ سليمانُ مجيباً[3]:

فَرَأْنا مَا كَتَبْتَ بِهِ إلينـــــا * وعُذْرُكَ واضِـــــحٌ فيما لَدَيْنا
ومَنْ يَكُنِ القَرِيْضُ لَهُ شَفِيْعـاً * فَتَـــرْكُ عِتــابِـهِ فَرْضٌ علينــا

ومثلُه قولُ الأميرِ عبدِ الرَّحمنِ بنِ هشامٍ[4] يَقْبَلُ عُذْرَ من اعتذرَ إليهِ بالشِّعر[5]:

قَبِلْنَا العُذْرَ في بِشْرِ الكِتــابِ * لِمَا أحْكَمْتَ مِن فَصْلِ الخِطــابِ
فَنَحْنُ المُنْعِمُونَ إذا قَدِرْنــا * ونَحْنُ الغافِرونَ أَذَى الذِّئـــــابِ[6]

---

[1] عنان، محمَّد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م، 1/ 507.

[2] هو سليمانُ بنُ الحَكَمِ بن سليمان بن عبد الرَّحمن النَّاصر لِدينِ الله، لُقِّبَ بالمستعين بالله، وُلِدَ سنة (354هـ) وتوفِّي سنة (407هـ) أثنى على أدبِهِ ابنُ بسَّامٍ، فقال: "وكان سليمان ممَّن مُدَّت له في الأدب غايةٌ كَبا دونَها أهلُ الآداب، ورُفِعَتْ له في الشِّعر رايةٌ مشى تحتَها كثيرٌ من الشُّعراء والكُتَّاب". ابن بسَّام، أبو الحسن علي بن بسَّام الشَّنتريني ت542هـ، الذَّخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق د. إحسان عبَّاس، دار الثَّقافة، بيروت، 1979م، مج1/ ج1/ 46.

[3] ابن الأبَّار، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ت 658هـ، الحُلَّة السِّيَرَاء، تحقيق حسين مؤنس، الشَّركة العربيَّة للطِّباعة، القاهرة، 1963م، 2/ 11.

[4] هو عبد الرَّحمن بن هشام بن عبد الجبَّار بن عبد الرَّحمن النَّاصر، وُلِدَ سنة (392هـ) وتوفِّي سنة (414هـ) بُويعَ بالخلافة بقرطبة بعد الشُّورى ، وأجمعوا عليه، أشاد به كثيرٌ من أدباء عصره وأعيانِه، قال صاحب المُعْجِب: "وكان في غاية الأدب والبلاغة والفهم ورقَّة النَّفس" يُنظَر: المراكشي، عبد الواحد بن علي التَّميمي ت 647هـ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق صلاح الدِّين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2006م، 1/ 49.

[5] ابن بسَّام، الذَّخيرة، مج1/ ج1/ 58.

[6] صدرُ البيتِ تضمينٌ لِقولِ الشَّاعر الجاهليّ عمرو بن كلثوم:
وأنَّا المُنْعِمُونَ إذا قَدِرْنــا * وأنَّا المُهْلِكونَ إذا أتينـــا
ينظر عمرو بن كلثوم، ديوانه، صنعة الدكتور علي أبو زيد، دار سعد الدِّين، دمشق، ط1، 1991م، ص97.

وَنَحْنُ الـمُطْلِعُونَ بِــلا امْتِراءٍ * شُموسَ المَجْدِ في فَلَكِ الثَّــوابِ

ولـــمَّا كان بعضُ الأمراءِ الأمويّين شعراء؛ وَجَدْنا في ذلك فرصةً سانحةً لِنرسمَ صورةً لهم الحكَّام من خلال أشــعارهم، فنعرفَ نمطَ الحياة التي عاشــوها، إذْ لا يخفى أنَّ الشِّــعر يُعَدُّ وثيقةً معرفيَّةً تاريخيَّةً، إضافةً إلى أنَّه وثيقةٌ فنيَّةٌ أدبيَّةٌ، ولا شكَّ أنَّ لِكلام الملوكِ أهميَّةً خاصَّةً؛ لأنَّه صورةٌ لِعصــرِهم وفِكْرِهم وتَقَلُّبِ أحوالهم، ومن هذا المنطلق سعيْتُ إلى رصدِ صورة الحكَّام الأمويّين في الأندلس من خلال أشعارهم التي وصلَتْ إلينا في متون الأدب الأندلسيّ ومصادره الأُولى.

الحنين في أشعار الأمراء الأمويّين في الأندلس

نجد في أشعار الأمراء الأمويّين في الأندلس تعلُّقاً واضحاً بالوطن وحنيناً جارفاً إليه، وللحنين إلى الوطن في أشعارهم صورتان؛ الأُولى: صورةٌ مشرقيَّةٌ تظهرُ في الحنين إلى المشرق الذي غادره الجيل الأوَّلُ منَ الأمراء الأمويّين إلى الأندلسِ مُهَجَّرينَ من الشَّــام نازحِينَ عنها بســبب ســيطرة العبَّاســيين عليها، والثَّانيةُ: صــورةُ الحنينِ إلى قرطبةَ حاضــرةِ الأمويّين في الأندلس كلَّما غادروها للخروج إلى الحرب قتالاً للخارجين على الدَّولة، أو لشأنٍ من شؤون الإمارة.

تتجلَّى الصُّــورةُ الأولى للحنين إلى الوطن بالحنين إلى المشـــرق الذي غادره أوائلُ الأمراءِ الأمويّين الأندلسيّين بعد انقطاعِ مُلْكِهم في الشَّام ومطاردةِ العباسيّين لهم، ونجدُ شواهدَ هذا الحنينِ في أشعار الأمراء الأمويّين الأوائلِ الذين نزحوا عن الشَّام عَقِبَ سيطرة العباسيّين عليها، وقد روى ابنُ الأبَّار عن عيسى بن أحمد الرازيّ أنَّ عبدَ الرَّحمن بنَ معاوية[1] نَظَرَ أوَّلَ نُزولِهِ بالرُّصافة إلى نخلةٍ، فهاجَتْ شجونُه، وتذكَّر الشَّامَ، فقالَ مُرْتَجِلاً[2]:

تَبَدَّتْ لَنا وَسْـــطَ الرُّصـــافَةِ نَخْلَةٌ * تَناءَتْ بِأَرْضِ الغَرْبِ عَنْ بَلَدِ النَّخْلِ

---

[1] هو عبد الرَّحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحَكَم، المعروف بالدَّاخل، كنيتُه أبو المطرِّف, ولَقَبُه (صَقْر قُريش) وُلِدَ في الشَّام سنة 113هـ، وتوفِّي في الأندلس سنة 172هـ، قامَتْ به الإمارةُ الأمويَّةُ في الأندلس، ذَكَرَهُ لسانُ الدِّين في الأدباء وقال "كان بليغاً مفوَّهاً شاعراً" وأثنى على شعره ابنُ الأثير فقال: "كان فصيحاً لَسِناً شاعراً". للتَّفصيل يُنْظَر: ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمَّد بن محمَّد الجزري ت630هـ، الكامل في التَّاريخ، تحقيق: عمر عبد السَّلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1997م، 5/ 277. ويُنْظَر: لسان الدِّين بن الخطيب، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله السَّلماني الغرناطي الأندلسي ت 776 هـ، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمَّد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط1، 1977م، 3/ 468.

[2] ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيَرَاء،1/ 37. وينازعُهُ في نسبة الأبياتِ الأميرُ عبدُ الملك بن بِشْر الأموي، قال ابن الأبَّار: "وقد قيل إنَّ الأبياتَ الأربعةَ الأُوَلَ لِعَبْدِ الملكِ بنِ بِشْرٍ بنِ عبدِ الملكِ بن بِشْرِ بن مروان بن الحَكَم قالها عند دخوله الأندلسَ فِراراً من بني العبَّاس في صدر أيَّام الأميرِ عبد الرَّحمن بنِ مُعاوِيةَ".

فَقُلْتُ: شَـــــبِيهِي فِي التَّغَرُّبِ والنَّوى * وطُولِ التَّنـــــائي عَنْ بَنِيَّ وعَنْ أَهْلِي
نَشَـــأْتِ بأَرْضٍ أَنْتِ فِيهـــــا غَرِيبَةٌ * فَمِثْلُكِ فِي الإِقْصـــاءِ والمُنْتأَى مِثْلِي
سَقَتْكِ غَوَادِي المُزْنِ مِنْ صَوْبِها الذي * يَسُـــــحُّ ويَسْتَمْري السِّماكَيْنِ بالوَبْلِ[1]

إنَّ تلك النَّخلةَ صورةٌ جزئيَّةٌ متضمّنةٌ للمشرقِ كلِّه في ذِهْنِ الأميرِ الأمويّ، لذلك طفقَ يخاطبُها معبّراً عن حنينِهِ إلى وطنِهِ الذي أُقصيَ عنه، والباعثُ لذلك شوقُه إلى أهلِهِ المهجَّرين الذين تفرَّقَتْ بهم السُّبُلُ بعد زوالِ مُلْكِهِمْ في الشَّام، كذلك اسمُ (الرُّصافة) المذكورُ في الأبيات ما هو إلا صورةٌ من صورِ استحضار المشرق إلى الأندلس في وجدان الأمراء الأمويّين الذين حرصوا على بناء بعض المدن الأندلسيَّة على غِرار المدن الأمويَّة التي اخْتَطُّوها مِنْ قَبْلُ في الشَّام، ثمَّ جعلوا لها الأسماءَ نفسَها في الأندلس، فمن المعروف أنَّ رُصافةَ الشَّامِ كان قد اختطَّها الخليفةُ الأمويُّ هشام بن عبد الملك غربيَّ الرَّقَّةِ من الشَّام[2]، ثمَّ اختطَّ الأميرُ عبدُ الرَّحمنِ الدَّاخلُ مثلَها في ضاحية قُرْطُبَةَ، وجعلَها مقرّاً صـيفيّاً له لارتفاعها عن رَبَضِ قرطبةَ، وجعلَ لها اسـمَ الرُّصـافةِ تخليداً لِرُصـافة الرَّقَّةِ وحنيناً إلى بلاده في المشرق، وقد أخذَ الأميرُ الشَّاعر يَبُثُّ النَّخلةَ الغريبةَ عن أرضِها مشاعرَ الغربةِ والإقصاءِ عن الوطن، فهو يشكو حُزْنَه إليها مُفْصِحاً لها عن وَجَعِ الغربةِ المشتركِ بينهما، ويناجيها مناجاةَ الغريبِ للغريبةِ، وإنَّما وصفَها بالغريبة لأنَّ الأندلسَ ليستْ موطنَ النَّخلِ أصـــــــلاً، فهي نازحةٌ عن أرضِها في المشرق نزوحَ الشَّاعرِ عنه، وقد ذكرَ ابنُ الأبَّارِ أبياتاً نســـبَها إلى الأمير عبدِ الرَّحمنِ الدَّاخلِ تشير إلى غربة النَّخلِ عن منابتِـــــهِ في مناجاتِهِ لِنخلةٍ كان قد رآها هنـــــاك في الأندلس[3]:

---

[1] الغوادي مفردُها غاديةٌ وهي السَّحابة التي تنشأ غُدوةً، والمُزْنُ مفردُها مُزْنَةٌ وهي السَّحابةُ البيضاءُ، يَسحُّ: يشتدُّ انصبابُه، يَسْتَمْرِي: يَسْتَدِرُّ المطرَ، السِّماكان: نجمانِ نيّرانِ في السَّماءِ أحدُهما السِّماكُ الأعزلُ والآخرُ السِّماك الرَّامح.

[2] ياقوت الحمويُّ، شهابُ الدِّين أبو عبد الله ياقوتُ بن عبد الله الرُّوميُّ الحمويُّ ت 626هـ، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م، (الرُّصافة) 3/ 47.

[3] ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيَرَاء، 1/ 37. وتُنْسَبُ للأميرِ الأمويّ عبدِ الملك بن عمر بن مروان بن الحَكَم. قال ابن الأبَّار: "وقيل في الأبيات الأخيرة إنَّما لِعبدِ الملك بن عمر بن مروان بن الحَكَم، وقد اجتازَ في قَصْدِهِ قرطبةَ حضرةَ الأمير عبد الرَّحمن بن معاوية، على ما حكى الحافظُ بمدينة إشبيلية، فرأى في موضعٍ فيها – يُعرَف بالنَّخيل إلى اليوم – نخلةً مفردةً، فَلَحِقَتْهُ رِقَّةٌ عند النَّظر إليها، وقال بديهاً الأبيات المذكورة" لكنَّ ابن الأبَّار رجَّحَ نسبةَ الأبيات إلى الأمير عبد الرَّحمن الدَّاخل، وذكرَ أدلَّتَهُ على ذلك. للتَّفصيل يُنظَر: ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيَرَاء، 1/ 38.

يا نَخْلَ! أَنْتِ غَرِيبَةٌ مِثـــلي * فِي الغَرْبِ نَائِيَةٌ عَنِ الأَصْـــلِ[1]
فَابْكِي، وهَلْ تَبْكِي مُكَبَّسَةٌ * عَجْماءُ لَمْ تُطْبَعْ عَلى حَبْـلِ[2]
لو أَنَّهـــا تَبْكي، إذاً لَبَكَتْ * ماءَ الفُراتِ ومَنْبـــتَ النَّخْلِ
لَكِنَّهـــــا ذَهِلَتْ، وأَذْهَلَني * بُعْضي بَنِي العَبَّاسِ عَنْ أَهْلي

لا يصف الشَّاعرُ النَّخلةَ وصفاً تجريديّاً، إنَّه يستعين بها لِلْبَوحِ عن مشاعرِه، فَيُشَخِّصُها ويلقي عليها صفاتِه الإنسانيَّةَ، ويُلْبسَها لباسَ الحياة والإحساس والشُّعور، ويتجاوز وجودَها الماديَّ إلى وجودٍ روحيٍّ وجدانيٍّ، فيناديها (يا نخلَ)، ويناجيها (أَنْتِ غَرِيبَةٌ مِثلي)، ويقارنُ بينَ أسبابِ غربتِها وأسبابِ غربتِه، فيجعل غربتَها مجهولةَ الأسبابِ مفتوحةً للقارئ كي يتصوَّرها (لكِنَّها ذَهِلَتْ)، ويجعل غربتَه معروفةَ الأسبابِ من وجهتِها السياسيَّة، فهو أميرٌ أمويٌّ نازعَه العباسيُّون مُلْكَ آبائه، فَفَرَّ نازحاً إلى بلاد الغربة (وأَذْهَلَني بُعْضِي بَنِي العَبَّاسِ عَنْ أَهْلي)، ويبدو التَّشخيصُ هنا محاولةً لاستنطاق الجامدِ لِكسرِ صَمْتِهِ ومشاركتِهِ وجدانيّاً في صفاتٍ محدَّدةٍ تلائم حالَ الأميرِ المغتربِ عن وطنِهِ، وقد بقيَتْ قضيةُ فراقِ الوطنِ مؤرِّقةً له حتَّى إنَّه ضمَّنَ بعضَ رسائلِه إلى أختِهِ في الشَّام شيئاً من هموم الحنينِ الجارفِ الذي ظلَّ يكابدُهُ في غربته، فمضى يحمِّلُ الراحلينَ إلى أرض الشَّام سلامَهُ لِأَهلِيهِ فيها، ويشكو ما كان من تفريقِ الزَّمانِ بينهما، ويصفُ حالَه وقد نزلَ بأرضِ الأندلسِ في حين بقيَتْ روحُه عالقةً بالشَّام[3]:

أيُّها الرَّاكِـــبُ المُيَمِّـــمُ أَرْضي * أَقْرِ مِنْ بَعْضيَ السَّـــلامَ لِبعْضي[4]
إنَّ جِسْمِي كما عَلِمْتَ بِأَرْضٍ * وفُؤادِي ومَالِكِيْـــــــــهِ بِأَرْضِ
قُدِّرَ البَيْنُ بَيْنَنا فافْتَرَقْنـــــــا * وَطَوى البَينُ عَنْ جُفُونِيَ غمضي
قَدْ قَضى اللهُ بالفِراقِ عَلَيْنـــــا * فَعَسى باجْتِمَاعِنا سَوفَ يَقْضي

وما برح الزَّمن الماضي يؤرِّقُ الأمراءَ الأمويِّين في أشعارهم حاملاً شوقَهم إلى الوطن، وإلى الأيَّام التي مضَتْ فيه بصحبة الأهلين والأصحابِ، وعلى الرَّغم من أنَّهم استقرُّوا في الأندلس ودانَتْ لهم

[1] يا نخلَ: منادى مرخَّم على لغة مَنْ لا ينتظر.

[2] مُكَبَّسة: التي يكون حَمْلُها في سَعَفِها. والكِباسة العِذْقُ التَّامُّ بشماريخِهِ وثمرِه.

[3] المَقَّري، شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد التِّلِمْساني، نفح الطِّيب من غُصْنِ الأندلس الرَّطيب وذِكْرِ وزيرِها لسانِ الدِّين بنِ الخطيب ت 1041هـ، تحقيق إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت، 1997م، 3/ 38.

[4] أَقْرِ السَّلامَ: بتخفيفِ الهمزة من آخره؛ أَبْلِغْه، أصلُه أَقْرِئْ السَّلامَ.

أرضُها لم تُسْلِهِمْ حلاوةُ المُلْكِ الجديدِ وطنَهَمُ القديمَ في الشَّام، فظلَّتْ أفئدتُهم تعتلجُ شـوقاً إليه، مع أنَّ شمسَ الإمارة في الأندلس قد أضـاءت للأمويّين بالأمراءِ المروانيّين من أحفـاد الخليفـة الأمويّ عبد الملك بن مروان، فاتَّخذوا الأندلسَ وطناً، وكانت لهم سَكَناً، من غير أنْ تُنْسِيَهُمُ الشَّامَ، ونجد ذلك في شعر الأمير الأمويّ عبدِ الملك بن عمر[1] كقوله يذكر الدَّهرَ الذي أزعجَه عن وطنِهِ في الشَّام حتَّى تحوَّل إلى الأندلس، ولم ينسَ معشرَهُ منهم هناك[2]:

فَيا زَمناً أَوْدى بِأَهْلي وَمَعْشَري * لَقَدْ صِرْتَ في أَحْشـــائنا لاذِعاً جَمْرا

ويَزْدادُ دَهْرُ السُّوءِ غِشّاً وظُلْمةً * كأَنَّ على شَمْسِ الضُّحى دُونَنا سِتْرا

إلى أَنْ بَدا مِنْ آلِ مَرْوانَ مُقْمِرٌ * أضـــــاءَ لنا مِنْ بَعْدِ ظُلْمَتِهِ الدَّهْرا

فذلك جانبٌ من الصُّورة المشرقيَّةِ للحنين إلى الوطن في أشعار الأمراء الأمويّين في الأندلس يتضمَّنُ الحنينَ إلى بلاد الشَّام التي خرجوا منها بعدما طاردَهم المُسَوِّدةُ منَ العبَّاسيّين، فضاقَتْ عليهم الأرضُ بما رَحُبَتْ، فالتمسُوا لأنفسِهم بلادَ الأندلس، لتكونَ لهم وَطَناً، ولِمُلْكِهِمُ الجديدِ عَضُداً، فأقاموا فيها دولتَهم الأمويَّةَ الجديدةَ بعد انقطاعِ مُلْكِهِم في المشرق.

أمَّا الجانبُ الآخرُ من الحنين الذي ظهرَ في أشعارِهم فيتجلَّى في صورةُ الحنين إلى الحواضرِ الأندلسيَّةِ التي غادروها بَعْدَ أنْ أَلِفُوها، ولاسيَّما حنينَهم إلى قرطبةَ حاضرةِ الأمويّين في الأندلس التي كانوا يغادرونها شهوراً لحرب الخارجين على الدَّولة، أو لِشأنٍ من شؤون الإمارة، فمن ذلك ما وجدناه في شعر الأميرِ عبدِ الرَّحمنِ بنِ الحَكَم[3] منَ الحنينِ إلى قرطبةَ بعدما غادرَها لِشأنٍ من شؤون

---

[1] هو عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم، أحدُ الأمراء الأمويّين الذين كانت لهم ولاية في الأندلس زمنَ الأميرِ عبد الرَّحمن الدَّاخل، سكنَ مصرَ مدَّةً حتَّى قدوم المسوِّدَةِ منَ العباسيّين، فغادرها إلى الأندلس، سنة 141 هـ، فأحسنَ الأميرُ عبد الرَّحمن الدَّاخل وفادتَه، فَوَلَّاهُ إشبيليةَ وغيرها، لا يُعرفُ زمنُ ولادتِهِ، ولا زمنُ وفاتِهِ، له شعرٌ يدلُّ على براعتِهِ في النَّظم. انظر: ابن خلدون، عبد الرَّحمن محمَّد بن محمَّد الإشبيلي ت 808 هـ، تاريخه المسمَّى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشَّأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة وسهيل زكَّار، دار الفكر العربي، بيروت، ط2، 1988م، 4/ 155.

[2] ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيَرَاء، 1/ 56.

[3] عبد الرَّحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرَّحمن بن معاوية، وُلِدَ سنة (176 هـ) وتوفِّي سنة (238 هـ)، وَلِيَ الإمارةَ بعد أبيه سنة 206هـ، وكان شاعراً ناثراً أثنى على أدبه ابنُ حيَّان فقال: "كان الأمير عبدُ الرَّحمنِ مقدَّمَ الطَّبقةِ في البلاغة، مطبوعاً في الكتابة، مقتدراً على ما حاول من سَنِيِّ البيانِ المنثورِ والمنظومِ" يُنظَر: ابن حيَّان القرطبي، حيَّان بن خلف ت 469هـ، المقتبس من أنباء الأندلس، تحقيق د. محمود علي مكي، نشر المجلس الأعلى للشُّؤون الإسلاميَّة، القاهرة، 1390 هـ، ص 222. ويُنظَر الحميدي محمَّد بن أبي نصر ت 448هـ، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983م، 1/ 39.

الإمارة، فاعتلجَ في قلبِهِ شوقُه إليها، فقال قصيدتَه التي سقطَتْ تتمَّةُ أبياتها من يدِ الزَّمان[1]:

شاقَكَ مِنْ قُرْطُبَةَ السَّاري * في اللَّيْلِ لم يَدْرِ بِهِ الدَّاري

ومثلُ ذلك ما وجدناه أيضاً في شعر الأمير أبي المُطرِّف محمَّد بن عبد الرَّحمن[2] وكان كثيرَ الغزواتِ دِفاعاً عن حِياضِ الأندلس، فخرجَ في حربٍ له مرَّةً، فأثخنَ في العدوِّ، فلمَّا حالفَه النَّصرُ واستقرَّ له الأمرُ لم يجلسْ للاحتفال، بَلْ عزمَ على العودة إلى حاضرة مُلْكِهِ قرطبةَ مُنْشِداً في الحنين إليها هذه الأبيات[3]:

قَفَلْتُ فَأَغْمَدْتُ السُّيوفَ عَنِ الحَرْبِ * وما أُغْمِدَتْ عنِّي السُّيوفُ مِنَ الحُبِّ

صَدرْتُ، وبِي للبُعْدِ ما بِي، فَزَادنِي * إلى الشَّوقِ أَشْوَاقًا رَجَائيَ في القُرْبِ

أَحُلُّ شِدادي في السُّرادقِ نازلاً * وللشَّوقِ عَقْدٌ لَيْسَ يَنْحَلُّ مِن قَلْبِي[4]

أقُرْطُبَةُ هَلْ لِي إلَيْكِ وِفادَةٌ * تَقَرُّ بِعَيْنِي أو تُمَهِّدُ مِنْ جَنْبِي؟

سَقى القَصْرَ غَيْثٌ بالرُّصافةِ مِثْلُهُ * وجادتْ عَزالِيهِ كَجُودِيَ في الجَدْبِ[5]

عَدانِي عَدوٌّ عَنْ حَبيْبٍ فَزُرْتُهُ * بِجَيْشٍ تَضِيْقُ الأَرْضُ عَنْ عَرْضِهِ الرَّحْبِ

إذا اسْوَدَّ مِنْ لَيْلِ الدُّروعِ تَبَلَّجَتْ * أَسِنَّتُهُ فيهِ عَنِ الأنْجُمِ الشُّهْبِ[6]

على أَنَّني حِصْنٌ لِجَيْشي إذا التَقَوا * وعَزْمي بِهِمْ أَدْنى السُّيوفِ إلى الضَّرْبِ

يتجلَّى في هذا الشِّعر الحنينُ إلى قرطبةَ ممتزجاً بِسمات الفروسيَّة في وِشاحٍ لطيفٍ من معاني الرِّقَّةِ ورهافةِ الحسِّ في معرض الشَّوق، ومعاني الجَسارةِ وقوَّةِ البأسِ في معرض الحماسة، ويشير الأميرُ الشَّاعرُ إلى أنَّه نزحَ عن قرطبةَ لِيذودَ عن حِياضِ مُلْكِهِ، ولِيَدْفَعَ العَدُوَّ عن أَرْضِهِ، حتَّى إذا تمَّ له

---

[1] المَقَّري، نفح الطِّيب 5/ 150.

[2] محمَّد بن عبد الرَّحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرَّحمن بن معاوية، كُنيته أبو عبد الله، وُلِدَ سنة (207 هـ) وتوفِّي سنة (273 هـ)، وَلِيَ الإمارةَ بعد أبيه سنة 238هـ، قال ابنُ العِماد "كان فقيهاً عالِماً فصيحاً مُفَوَّهاً". يُنظَر: ابن العِماد، شهاب الدِّين أبو الفلاح عبد الحيّ بن أحمد الدمشقي، شذرات الذَّهب في أخبارِ مَنْ ذهب، تحقيق عبد القادر أرناؤوط ومحمود أرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1986م، 3/ 309.

[3] ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيَرَاء، 1/ 119.

[4] السُّرادِقُ: ما يكون فوق صَحْنِ الدار من سقفٍ.

[5] العَزالِي، مفردُها العَزْلاء، وهي فمُ المَزادةِ، شَبَّهَ اتِّساعَ المطرِ واندفاقَه بالذي يخرج من فَمِ المَزادة، ويقال للسَّحابة إذا انْهَمَرَتْ بالمطر: قد أَرسَلتْ عَزالِيَها.

[6] تَبَلَّجَتْ: أسفرَتْ وأضاءَتْ.

النَّصرُ، شَدَّهُ الحنينُ إلى موطنِ صِباهُ ومرابعِ نَشْأَتِهِ وهَواهُ، فقرطبةُ هي الأرضُ التي تغلغلَ حبُّها في قلبِهِ، فَشَدَّتْهُ إليها بحبالِ الحنينِ، ويبدو أنَّ المكانَ الذي ينشأ فيه الإنسانُ يرتبط به ارتباطاً وثيقاً، ويبقى باعثاً للحنين بما يحملُه من ذكرياتٍ اتَّخَذَتْ من الوجدان العميقِ مستقرّاً لها، وإنَّ ذلك المخزونَ من الذِّكريات الماضيةِ هو العنصر الأبرزُ في نشاط الحنينِ في أشعار الأمراءِ الأمويّين، والحديثُ عن الحماسةِ والفروسيةِ ينقلُنا إلى موضوعٍ ذي أهميَّةٍ بارزةٍ في أشعارهم، هو موضوع تثبيتِ دعائم الحُكْمِ الأمويّ في الأندلس.

تثبيتُ دعائمِ المُلْكِ في الأندلس من خلال أشعارهم

نلمسُ في أشعار الأمراء الأمويّين حِرْصَهم على توطيد الحُكْمِ الأمويّ في بلاد الأندلس، وقد بدأ ذلك بأشعار الأمراءِ الأوائلِ منهم، ولاسيَّما شعر الأمير عبد الرَّحمن الدَّاخل، فمن ذلك قولُه وقد خرجَ يوماً لِصَدِّ الخارجينَ عليه فوقعَتْ إلى جانب مُعَسْكَرِه بعضُ الطُّيور، فأتاهُ مِنْ جُنْدِهِ مَنْ يعرفُ كَلَفَهُ بالصَّيد يُعْلمُه بِوُقوعِها، ويُغْرِيهِ باصطيادِها، فأنشدَهُ يُعْلِمُهُ أنَّه خرجَ لاصطيادِ عدوّه وإنِ استعصمَ بجبلٍ حالقٍ أو احتفرَ أخدوداً يخلدُ إليه في نفقِ الأرضِ، فذلك همُّهُ الذي يَشْغَلُه دونَ اللَّهوِ بِصَيدِ الطَّيرِ[1]:

دَعْنِي وَصَيْـــدَ وُقَّـــعِ الغَرانِـــقِ[2]
فَإنَّ هَمِّي في اصْطِيادِ المـــــارِقِ[3]
في نَفَقٍ إنْ كان أو في حـــــالِقِ
إذا الْتَظَتْ هَوَاجِـــــرُ الطَّرَائِقِ
كانَ لِفَاعيْ ظِـــــلَّ بَنْدٍ خافِقِ[4]
غَنِيْتُ عَنْ رَوْضٍ وقَصْرٍ شاهِقِ
بِالقَفْرِ وَالإِيْطـــــانِ في السُّرادِقِ[5]

---

[1] ابن الأبّار، الحُلَّة السِّيَرَاء، 1/ 37.

[2] الغَرانِق: مفردها الغِرْنوق، وهي طيورٌ مائيَّةٌ بِيضٌ طويلةُ السِّيقانِ. وُقَّعُ الغَرانِقِ: ما نزلَ منها عن طيرانِهِ.

[3] المارقُ: الذي يمرقُ من الدِّين، وأراد العدوَّ الخارجَ عليه.

[4] اللِّفاعُ: ما يُلْتَحَفُ به من كِساء يُجَلَّلُ به الجسدُ. البَنْدُ: عَلَمُ الفُرسان والرَّاية الكبيرة.

[5] الإيطانُ: اتِّخاذُ الوطنِ.

فَقُلْ لِمَنْ نامَ على النَّمـــــارِقِ[1]
إنَّ العُلاَ شُـــــدَّتْ بِهَمٍّ طارِقِ

كان انشغالُ الحكَّام الأمويّين في الأندلس بِـــهَمّ توطيدِ الـــمُلْكِ واضحاً، وقد ظهرَتْ هذه القضيَّةُ في أشعارهم، ولاسيَّما شعر مؤسِّس الدَّولة الأمويَّة في الأندلس عبد الرَّحمن الدَّاخل، وكان قد نذرَ وقتَه لبناء دولتِهِ القويَّةِ بِعَزْمِهِ، فلمَّا مَنَّ عليه بعضُ أصـحابِه منَ الأمويّين ما بذلوه له أوَّلَ أَمْرِهِ أَنْشَدَهُمْ[2]:

لا يُلْفَ مُمْتَنٌّ عَلينـا، قَائِـــــل * لَولايَ مَا مَلَكَ الأَنامَ الدَّاخل
سَعْدِي وحَزْمي والمُهَنَّدُ والقَنا * وَمَقادرٌ بَلَغَتْ، وَحـالٌ حَائِلُ
إنَّ الملُوكَ مَعَ الزَّمـــانِ كَواكِبٌ * نَجْمٌ يُطَالِعُنـــــا، ونَجْمٌ آفِلُ
والحَزْمُ كُلُّ الحَزمِ أَنْ لا يَغفَلُـــوا * أَيَرُومُ تَدْبِيرَ البَرِيَّةِ غَافِـــــلُ؟
ويَقُولُ قَومٌ: سَـــــعْدُهُ لا عَقْلُهُ * خَيْرُ السَّعادَةِ مَا حَماها العاقِلُ
أَبَنِي أُمَيَّةَ قَدْ جَبَرْنـــا صَدْعَكُمْ * بِالغَرْبِ رَغْماً، والسُّعودُ قَبائِلُ

هذه الصُّورةُ التي بناها عبدُ الرَّحمنِ الدَّاخل لِشَخْصِهِ في شعره ما هي إلا جزءٌ من واقعِ الحياة الصَّـعبةِ التي كابدَها بَعْدَما طارَدَهُ العبَّاسيُّون لِيقتلوه، فاستقلَّ بِعَزْمِهِ وحَزْمِهِ حتَّى وصـلَ إلى بلاد الأندلس، فَبَنَى مُلْكاً عَضُداً، وأشارَ في الأبيات السَّابقة إلى سابقِ عَهْدِهِ حين تحوَّلَ الـــمُلْكُ عَنْ آبائه فقال: "ومقادرٌ بَلَغَتْ، وحالٌ حائلُ" ثمَّ فاخرَ الأميرُ عبدُ الرَّحمنِ بني أميَّةَ كلَّهم بأنَّه بَنَى لهم مَجْدَهُمْ في الأندلس بَعْدَما غَرَبَ عنهم في الـــمَشْرِقِ، فَجَبَرَ صَدْعَهُمْ بِعَزْمِهِ. إنَّ هذه الأبيات التي تفيضُ بالحماسـة والعَزْم والحَزْم هي جزءٌ أصيلٌ من صـورة هذا الأميرِ الأمويّ، وعلى الرغم مِنْ أنَّ بعضَ الأمراء الأمويّين في الأندلس في مرحلةِ الجيلِ الثَّالثِ قد رَكَنُوا إلى شيءٍ من زهو الحياة الدُّنيا غير أنَّهم ظلُّوا مُتَيَقِّظِينَ لكلِّ طارئٍ يَـمَـسُّ دولتَهم، ولعلَّ خيرَ شاهدٍ على ذلك ما كان في زمنِ الحَكَم بنِ هشامٍ[3] الذي أعملَ في الخارجين عليهِ سيفَهُ حتَّى خضعَ له مَنْ ثارَ عليه مِنْ أهلِ رَبَضِ

[1] النَّمارق: مفردُها النُّمرقُ؛ الوِسادةُ الصَّغيرة.

[2] المَقَّري، نفح الطِّيب، 4/ 36.

[3] الحَكَم بن هشام بن عبد الرَّحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، وُلِدَ سنةَ (154 ه) وتوفِّي سنةَ (206 ه) لُقِّبَ بالرَّبَضي، وَلِيَ الخلافةَ سنةَ (180ه)، وشُبِّهَ بالمنصور العبَّاسيّ في شَدِّ المُلْكِ وتوطيدِ دعامة الدَّولة، خرج عليه قومٌ من رَبَضِ قرطبةَ بتحريضٍ من أعداءٍ له، فقاتَلَهم في حادثةٍ مشهورةٍ حتَّى خضعوا له. قال ابن الأبّار: "كان شجاعاً باسـلاً، أديباً متفنّناً، خطيباً مفوّهاً، وشاعراً مجوّداً،

قُرطبةَ بعد أنْ أغراهم بذلك أعداؤه المتربّصينَ به، فباتَتْ هذه الحادثةُ من ألقابِهِ اللَّصيقةِ بِه، حتَّى إنَّه لُقِّبَ بالحَكَمِ الرَّبَضَيّ نسبةً إليها، وتبدو صورةُ حَزْمِهِ وبَسالَتِهِ في أبياتٍ أنشدَها بعد انتصارِه على الخارجين عليه في حادثةِ الرَّبضِ[1]:

رَأَبْتُ صُدُوعَ الأَرْضِ بالسَّيْفِ رَاقِعـا * وقِدْمـاً لأَمْتُ الشَّعْثَ مُذْ كُنْتُ يافِعا[2]
فَسَائِلْ ثُغورِي: هَلْ بِـها الآنَ ثَغْـرَةٌ * أُبادرها مُسْتَنْضِيَ السَّـيْفِ دارِعـــا[3]
وَشافِهْ على الأَرْضِ الفَضاءِ جَمَاجِمـاً * كأَقْحافِ شِـرْيَانِ الهَبِـيْدِ لَوامِعـــا[4]
تُنَبِّئْكَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ عَنْ قِراعِهـــــم * بِـوانٍ وأنِّي كُنْتُ بالسَّـــيفِ قارِعـــا
فَإنِّي إذا حـــــادُوا جزاعاً عَنِ الرَّدَى * فلَمْ أَكُ ذَا حَيْدٍ عَنِ الموْتِ جازِعـا
حَمَيْتُ ذِمـــاري وانْتَهَكْتُ ذِمارَهُمْ * ومَنْ لا يُحامي ظَلَّ خَزْيانَ ضارِعـــا[5]
ولَمَّا تَســـــاقَيْنا سِـــجالَ حُرُوبِنا * سَـقَيْتُهُمُ سُـمّاً مِنَ الموتِ ناقِعـا
وهَلْ زِدْتُ أَنْ وفَّيْتُهُمْ صاعَ قَرْضِهِمْ * فَوافَوا مَنـايـا قُدِّرَتْ ومَصـــــارِعـا
فَهاكَ بِـلادي إنَّني قَدْ تَرَكْتُهـــــا * مِهـــادًا ولم أَتْرُكْ عَلَيْهـــا مُنازِعـا

تسيطر على اللغة الشِّعريَّة في الأبياتِ لهجةٌ حماسيَّةٌ يُوْقِدُ جذوتَها غَضَبُ الأميرِ الشَّاعرِ، ويمتزجُ بها الفخرُ الحماسيُّ بالقدرة على عَدُوّهِ والسَّطوةِ عليه، ويَعْجَبُ الشَّاعر مِمَّن اتَّهموهُ بالغِلْظَة في معاقبة الخارجين عليه، ويستعينُ لِبيانِ ذلك بالأسلوبِ الاستفهاميّ الإنكاريّ "وهَلْ زِدْتُ أَنْ وفَّيْتُهُمْ صاعَ قَرْضِهِمْ" ثمَّ يفخرُ بنتيجة ذلك السِّجالِ، فقد تركَ بلادَه آمنةً، ومُلْكَهُ مُـمَهَّـداً، لا يطمعُ فيه طامعٌ، ولا ينازُعه فيه منازعٌ.

لم يكتفِ الأمراءُ الأمويُّون بتوطيد دعائم الدَّولة من خلال توســـيع رُقْعَتِها بالحرب على

تُحْذَرُ صولاتُه" وأثنى عليه صاحبُ الإحاطةِ لسانُ الدِّين بن الخطيب فقال: "كان فصيحاً، بليغاً، شاعراً مجيداً، أديباً, نحوياً". يُنْظَر: ابن الأبّار، الحُلَّة السِّيَرَاء، 1/ 43. ولسان الدِّين بن الخطيب، الإحاطة، 1/ 479.

[1] ابن عذاري، البيان المغرب، 2/ 71.

[2] رأبْتُ صُدوعَ الأرضِ: أَصْلَحْتُها. لأَمْتُ: أَصْلَحْتُ وَلَأَمَ الصَّدْعَ إذا شدَّه فَالْتَأَمَ. الشَّعْثُ والشَّعَثُ: انتشارُ الأَمْرِ وخَلَلُه.

[3] مُسْتَنْضِيَ السَّيْفِ: مُجَرِّداً السَّيفَ مِنْ غِمْدِهِ. دارعاً: لابساً الدِّرْعَ.

[4] أقحاف: جمع قحف، وهي الجمجمة أو ما انكسرَ منها, والمرادُ هنا الفلقةُ من ثمرة الحنظلِ. شِرْيان الهبيد: ثمرُ الحنظلِ، وهو يُشْبِهُ البِطِّيخَ الأخضرَ، تكون ثمرتُه خضراءَ، ثمَّ تنضجُ فَتَصْفَرُّ، لكنَّه يُطْبَخُ ويُجْعَلُ عليه الدَّقيقُ ويُؤْكَلُ، فَشَبَّهَ جماجمَ العدوِّ به.

[5] الذِّمار: الحَرَمُ والأهلُ، وكل ما يلزمُكَ حِفْظُهُ وحِياطتُه والدَّفْعُ عنه، فإنْ ضَيَّعْتَه لزمكَ اللَّوْمُ.

الخارجين عليهم، فربطوا تثبيتَ الحُكْمِ بالحراكِ الثَّقافيّ والنَّشـــاطِ العمرانيّ[1]، وكان ذلك من أبرز سمات حُكْمِهِم للأندلس، منذ بداية عصـــر الإمارة زمنَ عبد الرَّحمن الدَّاخلِ حتَّى نهاية عصـــر الخلافة الأمويَّة، وكانت المشـــاهدُ العمرانيَّةُ الوجهَ الحضـــاريَّ الماديَّ في حياة الدَّولة الأمويَّة في الأندلس، وما زال بعضُ ذلك العمران شـــاهداً على آثارهم إلى الآن، فَمِنْهُ ما هو ظاهرٌ فوق الأرضِ منذ القِدَمِ، ومنه ما ظهرَ في العصـــر الحديث خلالَ التَّنقيب عن الآثار الأندلسـيَّة[2]، وقد أدركَ بعضُ الحكَّام الأمويّين ضرورةَ العمران لِتخليدِ ذِكْرِ دَوْلَتِهِ، وإنْ غبرَ عَهْدُهُ وانقضى، ليمضيَ أثرُهُ في عَصْرِهِ زمناً في التَّاريخ، وليكون العمرانُ شاهداً للأجيال القادمةِ على حضارة الأمويّين في بلاد الأندلس، ونجدُ شواهِدَ هذه القضيَّة في شعر الخليفةِ عبدِ الرَّحمنِ النَّاصرِ[3] الذي أشار فيه إلى أنَّ صنائعَ الملوكِ في التَّاريخ يرويها للأجيالِ العمرانُ بِأَلْسِـــنَةِ البُنيانِ، قال ابن ســـعيدٍ المغربيُّ في ذلك: "كان منذر بن سعيد قاضيَ النَّاصرِ وخطيبَه، وكثيراً ما يقرّعُه فيما أسرفَ فيه من مبانِيهِ، ويَعِظُه، ودخلَ عليه يوماً وهو مُكِبٌّ على البنيان، فوعظَه، فأنشدَ النَّاصرُ قولَه وهو عالي الطَّبقة[4]:

هِمَمُ المـلُوكِ إذا أرادوا ذِكْرَهـا * مِنْ بَعْدِهِمْ فَبِأَلْسُنِ البُنْيانِ

أَوَمَا تَرى الهَرَمَيْنِ قَدْ بَقِيا وَكَمْ * مُلْكٍ مَحـاهُ حادِثُ الأَزْمانِ

وعلى ذلك دامَتْ حالُ الأمراءِ الأمويّين في الذَّبِّ عن حِياضـــهم حتَّى ضَـــعُفَتْ دولتُهم، وتسلَّطَ عليها الحاجبُ المنصورُ بِعَزْلِ الخليفةِ الغلام هشام المؤيَّد عن ممارسة الحُكْمِ، فلمَّا كان ذلك سـعى أحدُ أمراءِ بني أميَّةَ وهو المرتضـى المروانيُّ[5] إلى تأسـيس إمارةٍ له شـرقيَّ الأندلس، وأعانَه في

---

[1] بالنثيا، آنخل جنثالث، تاريخ الفكرِ الأندلسيّ، ترجمه عن الإسبانيَّة حسين مؤنس، مكتبة الثَّقافة الدِّينيَّة، مصر، 1955م، ص2.

[2] R.Castejon, *Excavaciones del plan nacioual*, Madrid, 1943, P.147.

[3] عبد الرَّحمن بن محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن عبد الرَّحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرَّحمن بن معاوية. وُلِدَ سنة (277 هـ) وتوفِّي سنة (350 هـ) لَقَّبَه النَّاصرُ لِدِين الله، وَلِيَ الحُكْمَ سنة (300هـ) وأنشأَ مدينةَ الزَّهراء وغيرها، وأصدر مرسوماً أعلن فيه الخلافةَ، كان شاعراً بليغاً. يُنظَر: ابن كَثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر ت 774هـ، البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988م، 11/ 271.

[4] ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى المغربي ت 685هـ، المُغْرِب في حُلى المَغْرِب، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1955م، 1/ 179.

[5] هو عبد الرَّحمن بن محمَّد بن عبد الملك بن عبد الرَّحمن النَّاصر لِدينِ الله، كان خيراً فاضلاً, من أهل الصَّلاح والتَّقوى، ذكرَ ابنُ حزم أنَّه كان مائلاً إلى الفقه، توفِّي سنة 409هـ، وكان شاعراً أديباً. يُنظَر: ابن حزم الأندلسي، أبو محمَّد علي بن أحمد ت 456هـ، جمهرة أنساب العرب، تحقيق لجنة من العلماء، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 2001م، ص 101.

ذلك بنو عامر وعلى رأسِهِمُ القائدُ خَيرانُ العامريُّ[1]، ثمَّ تجهَّز لإعادة وجهِ الخلافة، فجمعَ الحشودَ قاصداً قرطبةَ، غير أنَّه بدأ حملتَهُ بغرناطةَ مقاتلاً مَنْ فيها منَ البربرِ، ودامت الحربُ أيَّاماً، واسْتَحَرَّ القتلُ في أصحابِهِ، فانكشفَ خَيرانُ وجندُهُ تخاذلاً عنه, وغدروا به فقتلوه، ومن شِعره الذي نتمثَّل به لتصويرِ بَسالَتِهِ في قتال البربر الذين انقلبوا على الخلافة الأمويَّة في الأندلس قولُه[2]:

قَدْ بَلَغَ البَرْبرُ فِينا بِنـــــا * ما أَفْسَدَ الأَخْـوالَ والنَّظْما
كالسَّهْمِ للطَّائِرِ لولا الَّذِي * فيهِ مِنَ الرِّيشِ لَمَـا أَصْمى[3]
قُومُوا بنا في شَأْنِهِم قَوْمَـــةً * تُزِيْلُ عَنَّـــا العارَ والرَّغْما
إمَّا بهـا نَمْلِك، أو لا نرى * ما يَرْجِـعُ الطَّرْفُ بِهِ أَعْمى

فهذا جانبٌ مِنْ جهودِ الأمراءِ الأمويّين في توطيدِ دعائم دولتِهم في الأندلس ممَّا وجدناه في أشـعارهم، وتُصَـدِّقُه أخبارُهُمُ الدَّالَّةُ على إنجازاتهم الحضـاريَّةِ والعسـكريَّةِ التي شـهدَ بها المؤرِّخونَ القدماءُ والمُحْدَثونَ من العربِ والغربيّين[4].

الفخر في أشعارهم وعلاقتُه بالحُكْمِ

سيطرَتْ على شعر الأمراءِ الأمويّين في الأندلس نزعةُ الفخرِ، غير أنَّ قيمةَ هذا الغرضِ منَ الشِّـعر ترجع إلى علاقتِهِ بمقاليدِ الحُكْمِ، وللفخر في أشـعارهم نوعان؛ فخرٌ فَرْدِيٌّ بالنَّفْس، وفخرٌ بالأسـرة الحاكمةِ، ويأتي الفخرُ مستقلا بموضـوعه الشِّـعريّ تارةً، ويأتي ممتزجاً بغيره من الأغراض كالحماسـة والغزل تارةً أخرى، ويكثرُ شـعرُهم في الفخر الممتزجِ بالحماسـة، فمن ذلك ما نجده في أشـعار الأميرِ صـاحبِ موقعةِ الرَّبَضِ الحَكَمِ بنِ هشـامٍ[5]، وقد تضـاربت المصـادر بين قادحٍ يَنْعَتُه بالإسراف[6]، ومادحٍ يصفُه بالشَّجاعة والحزم، حتَّى إنَّ ابنَ سعيد المغربيَّ زَكَّاهُ على غيره من الأمراء الأمويّين فقال: "أشـدُّهم إقداماً وصـرامةً وأَنَفَةً وأبهةً وَعزَّةً إلى ما جمع لذَلِك من جودة الضَّـبْط وحُسْنِ السِّياسة وإيثارِ النَّصفةِ، وكان يُشَبَّهُ بالمنصور العبَّاسيّ في شَدِّ الْمُلْكِ وقَهْرِ الْأَعْدَاء وتوطيدِ

[1] لسان الدِّين بن الخطيب، الإحاطة، 3/ 466.
[2] المَقَّري، نفح الطِّيب، 1/ 411.
[3] أصمى: قَتَلَ، وأصميْتَ الصَّيدَ إذا رميتَه فقتلتَهُ.
[4] Antonio Guzman Reina, Politica Milicia en el Andalus, Cordoba, 1969, P.71 -72.
[5] الحكم بن هشام بن عبد الرَّحمن بن معاوية، تقدَّمَتْ ترجمتُه في هذا البحث.
[6] يُنظَر الحميدي، جذوة المقتبس، 1/ 49.

الدَّولة"[1]، لكنَّ مَنْ يطَّلع على حاله من خلال أشـــعاره وما يقابلُها من آثارِ صِـــدْقِها في أفعاله المأثورة عنه؛ يجد أنَّه ذلك الفارس الذي يطربُ لِصليلِ السُّيوفِ في ساحات الوغى، فهي أشهى إليه من غناء الأوتارِ كلَّما صَـدَحَتْ، ونراه يتغنَّى بضياءِ الأَسِنَّةِ إذا تصـادمَتْ في سماء المعارك، ويرى فيها لباسَ الأمنِ لِـمَمْلَكَتِهِ، ويمضي في سَرْدِ معاني الفخرِ الفرديّ في هذه القطعة الفنيَّة التي أحكمَ نسيجَها من صورٍ صاخبةٍ بالحركةِ في مشهد الحرب[2]:

غِنَاءُ صَلِيْلِ البِيْضِ أَشْهى إلى الأُذْنِ * مِنَ اللَّحْنِ في الأَوْتـارِ واللَّهْـوِ والرُّدْنِ[3]
إذا احْتَلَفَتْ زُرْقُ الأَسِنَّةِ والقَنـــــا * أَرَتْـكَ نُجُـومـــــاً يَطَّلِعْنَ مِنَ الطَّعْنِ
بها يَهْتَدي السَّاري وتَنْكَشِفُ الدُّجَى* وتَسْتَشْـعِرُ الدُّنْيا لِبَاســـاً مِنَ الأَمْنِ
شَقَقْتُ غِمـارَ المـوتِ تُخْطِئُ مُهْجَتِي * سِهامُ رَدى قَبْلي أَصـابَتْ ذَوي الجُبْنِ
إذا لَفَحَتْ رِيْحُ الظَّهـــائرِ لَمْ يَكُنْ * لِفَاعِيَ فيها غَيْرَ فَيءِ القَنـــا اللَّدْنِ[4]
وإنْ لَمْ يَجِدْ حِصْنـاً سوى الفَرِّ مُقْدِمٌ * فمَاليَ غير السَّيف والرُّمْحِ مِنْ حِصْنِ

ويأتي الفخرُ في أشعارهم مزيجاً من معاني الحماسة والغزلِ الطَّاهرِ العفيفِ الذي يكاد يقاربُ في كثيرٍ من شواهده الأندلسيَّةِ الشِّعْرَ المشرقيَّ في بوادي الحجازِ في العصر الأمويّ، فمن ذلك قولُ الأمير عبد الرَّحمن بن الحَكَم[5] يذكرُ زوجتَه طَروبَ وهو يقصـد سـاحةَ الوغى للدَّفع عن مملكته، فينسجُ معانيَ الغزل في وصف الشَّوق إليها ممتزجاً بقيم الحماسة على نهج الشُّعراء الفرسان، ويُلْقِي على ذلك كلِّه ظلالَ الفخرِ الفرديّ بالنَّفس، والفخرِ بالأسرة الأمويَّةِ الحاكمةِ، والفخرِ بالنَّسَبِ الأمويّ[6]:

فَقَدْتُ الهَوى مُذْ فَقَدْتُ الحَبِيْبـــا * فَما أَقْطَعُ اللَّيْـــــلَ إلَّا نَحِيبـــا
وإمَّا بَدَتْ لِي شَمْسُ النَّهـــــــا * رِ طالِعَـــــــةً ذَكَّرَتْني طَرُوبـــا

---

[1] ابن سعيد: المُغْرِب في حُلى المَغْرِب، 1/ 39.

[2] ابن الأبّار، الحُلَّة السِّيَرَاء، 1/ 49.

[3] الصَّليل: صوتُ وَقْعِ السُّيوفِ بعضها على بعض، البِيضُ: صفةُ السُّيوف اللامعة، الرُّدْن: صفةٌ للرُّماح، يقال: خَطِيَّةٌ رُدْنٌ، وزعموا أنَّها امرأةٌ اسـمُها رُدَينةَ كانت وزوجَها السَّـمْهَرِيَّ يقوِّمانِ الرِّماحَ بِخَطِّ هَجَر. يُنظَر: الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حمَّاد ت 393هـ، الصِّحاح تاج اللغة وصِحاح العربيَّة، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، نشر دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987م، مادة (ردن) 5/ 2122.

[4] اللِّفاعُ: ما يُلْتَحَفُ به من كِساء يُجَلَّلُ به الجسدُ. اللَّدْن: صفة للرُّمح اللَّيِّن.

[5] عبد الرَّحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرَّحمن بن معاوية، تقدَّمَتْ ترجمتُه في هذا البحث.

[6] ابن الأبّار، الحُلَّة السِّيَرَاء، 1/ 114.

فيا طُولَ شَوقي إلى وَجْهِهـــــــا * ويا كَبِـــــدًا أَوْرَثَتْهـــا نُدوبـــــا
عَدانِيَ عَنْـــــكَ مَزارُ العِـــــدَا * وقَوْدي إِلَيْهِـــمْ لُـهـامـــاً مَهِيبـــا
أُلاقي بِوَجهيَ حَـــرَّ الهَجِيْـــــرِ * إذا كادَ مِنْـــهُ الحصى أَنْ يَذوبـــا
وأَدَّرِعُ النَّقْـــــعَ حتَّى لَبِسْـــــ * ـتُ مِن بَعدِ نُضْرةِ وَجهي شُحوبـــا
أُريـــدُ بِذاكَ ثـوابَ الإِلـــــه * وَمَنْ غَيْرُهُ أَبْتغيـــــهِ مُثِيبـــــا
أنـا ابْنُ الهِشـــامَيْنِ من غَالبٍ * أَشُـــبُّ حُروباً وأُطْفِي حُرُوبـــا[1]

وظاهرةُ الفخر بالأسرة الأمويَّةِ من أبرزِ ظواهرِ الفخر في أشعار الأمراء الأمويّين في الأندلس، وتأتي في سياق وصفِ خِصْلَتَي الشَّجاعة والكَرَم اللتين نجدُ رصيدَهما في أخبار الأمراء الأمويّين الأندلسيّين وفي أشعارهم، حتَّى إنَّ الأمير يعقوبَ بنَ عبدِ الرَّحمن[2] من أحفاد الدَّاخل كان ينفق من مالَه غيرَ مُعْرِضٍ عمَّن يسألُه حتَّى أخلَّ ذلك بنفسه، وذكرَ المَقَّرِيُّ في (نفح الطِّيب) طرفاً من أخباره في هذا الشَّـأن، فقال: "مَدَحَه بعضُ الشُّـعراء، فأمرَ له بمالٍ جزيلٍ، فلمَّا كان مثل ذلك الوقت جاءَه بمدحٍ آخرَ، فقالَ أحدُ خدَّامِ يعقوب: هذا اللَّئيمُ له دينٌ عندنا جاءَ يَقْتَضِـيه! فقال الأمير: يا هذا، إنْ كان الله تعالى خلقَك مجبولاً على كُرْهِ ربِّ الصَّنائع, فَاجْرِ على ما جُبِلَتَ عليه في نفسِكَ، ولا تكن كالأجربِ يُعْدِي غيرَهُ، وإنَّ هذا الرَّجل قَصَدَنا قبلُ، فكان منَّا له ما أنِسَ به وحملَهُ على العودة، وقد ظنَّ فينا خيراً، فلا نخيِّبُ ظنَّه، والحديث أبداً يحفظُ القديمَ، وقد جاءَنا على جهةِ التَّهنئة بالعمر، ونحن نسـأل الله تعالى أن يطيلَ عمرَنا حتَّى يكثرَ تَرْدادُهُ، ويديمَ نِعَمَنا حتَّى نجدَ ما ننعمُ به عليه، ويحفظَ علينا مروءَتنا حتَّى يُعِيْنَنا على التَّجمُّلِ معه، ولا يبلينا بجليسٍ مثلِكَ يقبضُ أيديَنا عن إسداءِ الأيادي، وأمرَ للشَّاعر بما كان أمرَ له بهِ مِنْ قبلُ، وأوصاهُ بالعَودِ عند حلول ذلك الأوانِ ما دام العمرُ"[3] فَمِمَّا يدلُّ على هذا الخُلُقِ شـعرُه الذي يفخر فيه بالكرم والشَّجاعة وأصالتهما في أسرته[4]:

[1] أراد هشاماً بنَ عبد الملك, وهشاماً بن عبد الرَّحمن الداخل، وغالباً بن فهر جدَّ أميَّة بن عبد شمس.

[2] هو يعقوب بن عبد الرَّحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرَّحمن بن معاوية، توفِّي سنة 273هـ، قال ابن حيَّان: "كان أديباً شاعراً كَلِفاً بالعلوم جامعاً للآداب مطبوعاً في الشِّعر، وكان جواداً لا يليق شيئاً، ويسرف حتى يخلَّ بنفسه، وأخبارُه كثيرةٌ". ابن حيَّان، المقتبس، ص 164.

[3] المَقَّري، نفح الطِّيب، 5/ 120.

[4] ابن حيَّان، المقتبس، ص 164.

يُنَادِي ماجِداً مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ * كَرِيمِ الفَرْعِ مِفْضالِ اليَدَيْنِ[1]
سَمَا لِلْمَكْرُماتِ فَقَدْ حَوَاهـا * بِمِنْدِيٍّ وخَطَّـــارٍ رُدَيْنِي[2]

يأتي الفخر في أشعارهم تثبيتاً لمضمون القيمِ الأخلاقيَّةِ الموجِبةِ له في الأسرة الأمويَّةِ الحاكمةِ، ولم يأتِ تعالِياً على النَّاس وإظهاراً لِلْكِبْرِ، ولذلك يجدون الخِصـالَ الحميدةَ فرضـاً لازماً عليهم، ولاسيَّما الكرم، حِفاظاً لِسيرة الأسرة الأمويَّةِ بين الأندلسيّين، وهذه صفةٌ تواصَوا بها في سلوكهم، وأَثْبَتُوها في أشعارهم، يقول الأمير يعقوبُ بنُ عبدِ الرَّحمن[3] مُسْتَهْجِناً نصيحةَ من أوصاهُ أنْ يحفظَ مالَه فلا يسرف في إنفاقِهِ على الرَّعِيَّةِ[4]:

إذَا أَنا لَمْ أَجُـدْ يَومـاً وقَومِي * لَهُمْ في الجُـوْدِ آثـارٌ عِظامُ
فَمَنْ يُرْجَى لِتَشْييدِ المعـالِي * إذا قَعَدَتْ عَنْ الخَيْرِ الكِرامُ؟

وغايتهم من الفخر بالأسـرة والآباء بَعْثُ الهمَّةِ تحريضـاً للعزم على الـــمُضِـيِّ في توطيد سـلطانهم وبناء الدَّولة الأمويَّة في صـورتها الجديدة في الأندلس، فمن شـواهد ذلك ما وجدناه في شعر الأمير الحَكَمِ بنِ عبدِ الرَّحمن[5] منَ الفخرِ بأجداده الـــمَرْوانِيّينَ من بَنِي أُمَيَّةَ، وفيه الإشارةُ إلى عُلُوِّ الهمَّةِ في طلب الـــمَعالي، وإنْ قعدَ الزَّمانُ بِدولتِهم الغابرةِ في المشرق فهو على يقينٍ أنَّ الدُّنيا تتقلَّبُ بأهلها، غير أنَّ أُولي العَزْمِ لا يركنون إلى ذلك، وإنْ جارتْ عليهم محنُ الزَّمان[6]:

أَلَسْـنا بَنِي مَرْوانَ كَيْفَ تَبَدَّلَتْ * بِنـا الدَّارُ أَوْ دارَتْ عَلَيْنا الدَّوائِرُ
إِذَا وُلِدَ المَوْلُودُ مِنَّـــا تَهَلَّلَتْ * لَهُ الأَرْضُ وَاهْتَزَّتْ إِلَيْهِ المنـــابِرُ

يقوم معجمُ الفخرِ الفرديِّ في أشـعار الأمراء الأمويّين على حقل الألفاظ المتعلِّقةِ بالحماسـة والكَرَم، ويغلب على المصادر التَّاريخيَّةِ أنْ توافِقَ في نظرتُها إليهم ما نَطَقَتْ به أشعارهم، فتأتي تلك

---

[1] عبد شمس جدُّ الأمويين. وهو عَبْدُ شمس بن عبد مناف بن قصي.

[2] الخَطَّار: الرُّمحُ إذا اهْتَزَّ. والرُّمحُ الرُّدَيْنِيُّ: نسبة إلى رُدَينةَ امرأةِ السَّمْهَرِيّ.

[3] هو يعقوب بن عبد الرَّحمن بن الحَكَم بن هشام بن عبد الرَّحمن بن معاوية، تقدَّمَتْ ترجمتُه في هذا البحث.

[4] المَقَّري، نفح الطِّيب، 5/ 120.

[5] هو الحَكَم بنُ عبد الرَّحمن بن محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن عبد الرَّحمن بن الحَكَم، وُلِدَ سنة (302هـ) وتوفِّي سنة (366 هـ). وَلِيَ الحكم سنة (350هـ) فقام بأعباءِ المُلْكِ على أحسن وجهٍ، وكان عالماً بالتَّاريخ والأنساب. يُنظَر: ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، ص 100.

[6] ابن دحية، أبو الخطَّاب عمر بن حسن ت 633هـ، المُطْرِب من أشعار أهلِ المَغْرِب، تحقيق إبراهيم الأبياري وغيره، دار العلم للجميع، بيروت، 1955م، ص12.

الأخبارُ مُصَدِّقَةً لأحوالهم وأخلاقِهم، وهم لا يأبَهونَ لِـمَنْ يشير عليهم بالاقتصاد في الإنفاق على الرَّعِيَّة، ويَرَونَ ذلك من موجِباتِ الـمُلْكِ، ومِنْ لطيفِ فَخْرِهِمْ أن يكون ما يفاخرون به من الكَرَم باباً من الإنعام على الرَّعِيَّةِ لاصـطناع الأحرار لا لِصـناعةِ العَبيدِ، وهذا معنًى دقيقٌ يأتي مِنْ كريمِ طبائعِهم، ونجد معنى ذلك في قول الأمير هشام بن عبد الرَّحمن الدَّاخل[1] يفخر بالـمُلْكِ في أسرة الأمويّين جامعاً إليه سَخاءَ البَذْلِ باليَدِ البيضاءِ صنيعةً للأحرارِ منَ الرَّعِيَّة[2]:

البَذْلُ – لا الجَمْعُ – فِطْرَةُ الكَرَمِ * فلا تُرِدْ بي مَا لَمْ تُرِدْ شِـيَمي
ما أَنا مِنْ ضَيعَـةٍ، وإنْ نَعُمَتْ * حَسْبي اصْطِناعُ الأَحْرَارِ بالنِّعَمِ
تَفِيْضُ كَفِّيَ في السِّـلْمِ بَحْرَ * وفي سِـجالِ الحُروبِ بَحْرَ دَمِ
تَزلُّ عَنْ رَاحَتي البُـدُورُ، ومـا * تُمْسِـكُ غَيْرَ الحُسـامِ و القَلَمِ[3]

وعلى ذلك مضـى الأمراءُ الأمويُّون من حكّام الأندلس في الفخر بالنَّفس والفخرِ بالأُسْـرَةِ الحاكمةِ، واسـتطاعوا تثبيتَ دولتِهم من بداية إمارة عبد الرَّحمن الدَّاخل إلى نهاية خلافةِ النَّاصـرِ لِدينِ الله، ثمَّ اضطربَتْ أحوالُهم وضَعُفَتْ دولتُهم بخلافة القاصرِ هشـام المؤيَّد وبِاسْـتِئْثَارِ حاجبِهِ الوزيـرِ المنصـورِ بنِ أبي عامرٍ بالحُكْمِ مِنْ دونِهِ، وكانت تلك بدايةُ الاضطرابِ في الدَّولة الأمويَّة الأندلسيَّة، ولا ريبَ في أنَّ عزيمةَ الحاجبِ المنصورِ حافظَتْ ظاهريّاً على الخلافة الأمويَّةِ مُدَّةً على الرغم مِنْ تَنْكِيلِهِ بخصـومِهِ من سـائر الأمويّينَ الذين عارضـوه، لكنَّ سـوءَ تدبيرِ وَلَدَيهِ أَفْضَـى إلى إشـعالِ الخصـومةِ على السُّـلطة، وكان ذلك نذيراً لِزوالِ الدَّولة الأمويَّة في الأندلس، وقيامِ دولةِ الطَّوائف بَعْدَها.

وفي نهاية هذا البحثِ نستخلصُ النَّتائجَ الآتية:

[1] هو هشام بن عبد الرَّحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحَكَم، كُنْيَتُه أبو الوليد، وُلِدَ سنةَ (139 هـ) وتوفِّي سنةَ (180 هـ). وَلِيَ الخلافةَ بعد أبيه عبدِ الرَّحمنِ الدَّاخل سنة (172هـ) كان حسنَ السِّيرةِ، كريمَ الأخلاق، قال المَقَّريُّ: "كان هشام يذهب بسيرته مذهبَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ" يُنْظَر: المَقَّري، نفح الطِّيب، 1/ 336. ابن عذاري، البيان المُغْرِب، 2/ 65 -66.

[2] ابن الأبَّار، الحُلَّة السِّيَرَاء، 1/ 43.

[3] البدور: مفردها البَدْرة، وهي الكيس من المال يحوي عشرة آلاف درهم.

1. قدَّمَتْ هذه الدِّراسةُ صورةً لِـحُكَّام الأندلس من الأمراء والخلفاء الأمويّين من خلال ما وصـل إلينا من أشـعارهم، وكانت تلك الأشـعارُ وثيقةً تاريخيَّةً لحياتهم وعلاقاتهم على الصَّعيدين الخاصِّ والعامِّ.
2. أظهرَتْ تلك الأشعارُ جانباً مهمّاً من جوانب الحياة الخاصة لِلْحُكَّام الأمويّين، وهو جانبُ حَنِينِهِم لِوطنِهم السَّابقِ (الشَّام) الذي غادروه نازحين مُهَجَّرين، وظهرَ الحنين إلى الشَّام جليّاً في أشعار الأمراءِ الأمويّين الأوائلِ، لكنَّ هذه الظَّاهرةَ غابَتْ عن شعر الأمراء المتأخِّرينَ (الجيل الثَّاني والجيل الثَّالث) الذين لم يشهدوا لوعةَ التَّهجيرِ القَسْرِيِّ في الشَّام، ولم ينسَ الأمراءُ الأمويُّون الأوائلُ بلادَهم على الرغم من أنَّ الأندلس دانَتْ لهم، وبَسَطُو عليها نفوذَهم. كذلك ظهرَ في أشعار الأمويّين على اختلاف أجيالهم (الجيل الأوَّل، الجيل الثَّاني، الجيل الثَّالث) الحنينُ إلى حاضـرةِ الأمويّين في الأندلس(قُرْطُبَة) وكان الحنين إليها يعصفُ بهم كلَّما غادروها أَشْهُراً لِدَفْعِ الأعداء، وقتالِ الخارجينَ على الدَّولة، وارتبطَتْ ظاهرةُ الحنين في أشـعارهم بالجانب الوجدانيّ من أحوالهم الخاصَّة التي أظهرَتْ وَفاءَهُمْ للوطنِ ورِقَّةَ طَبْعِهِمْ ورهافةِ حِسِّهِم.
3. أتاحَتْ لنا أشـعارُ الأمراءِ والخلفاءِ الأمويّين أن نرسـم صـورةً للأحوال السِّياسـيَّةِ في عَصْـرَي الإمارة والخلافةِ في الأندلس، فقد أظهرَتْ تلك الأشـعارُ عنايتَهم بتوطيد دعائم الـمُلْكِ حتَّى كان ذلك من أهمّ ما شغلَهم، وظهرَ أثرُه واضحاً في أشعارهم، وجاءت أشـعارُهم موافِقةً لأحوالهم التي نَقَلَتْها المصادرُ التاريخيَّةُ، واتَّخذوا لهذا التَّثبيت وسـائلَ؛ منها ما هو عسـكريٌّ وكانَ بِدَفْعِ العدوّ وقتالِهِ، ومنها ما هو حضـاريٌّ وكان بتمكينِ الحضـارة العمرانيَّةِ، وتمكينِ الثَّقافةِ والعلوم والآدابِ حتَّى إنَّهم رفعوا شـأنَ الشِّعر فَقَبِلُوا شفاعةَ أهلِ البيانِ والفصاحة، ودلَّتْ أشعارُهم وأخبارُهم على حوادثَ من هذا القَبيلِ.
4. اتَّسمَ شعرُ الأمراءِ الأمويّين بِسِمَةِ الفخرِ، وكان على نوعين؛ فخرٍ بالنَّفس انتظمَتْ فيه صـفاتُ الكرم والشَّـجاعةِ، وفخرٍ بالأسـرة الحاكمةِ وتاريخِها العريقِ في الحُكْمِ، وشمائلِها الأخلاقيَّة في الكَرَم والحَزْم، وجاء الفخرُ بالأسـرة لِبَعْثِ الهمَّةِ لِلْحفاظِ على تاريخ العائلة الأمويَّة الحاكمة ومَجْدِها الأثيلِ، وتثبيتاً لِخِصالِها التي يقوم بها الحُكْمُ.

المصادر والمراجع:

1. ابن الأبَّار، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعيُّ ت 658هـ، الحلَّة السِّيَرَاء، تحقيق حسين مؤنس، الشَّركة العربيَّة للطِّباعة، القاهرة، 1963م.

İBNU'L-ABBÂR, Ebu Abdillah Muhammed b. Abdillah b. Ebâi Bekir el-Kudâ'î, *el-Hilletu's-Siyerâu*, Thk., Huseyn Mu'nis, eş-Şerike el-Arabiyye lil-Tıbâ'a, Kahire 1963.

2. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمَّد بن محمَّد الجزري ت630هـ، الكامل في التَّاريخ، تحقيق: عمر عبد السَّلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1997م.

İBNU'L-ESIR, Ebu'l-Hasan Ali b. Ebu'l-Kerem Muhammed b. Muhammed el-Cezerî, *el-Kamil fi't-Tarih*, Thk.Ömer Abdusselam Tedmurî, Daru'l-Kitabi'l-Arabi, Beyrut, 1997.

3. بالنثيا، آنخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمه عن الإسبانيَّة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1955م.

BALENSIYE, Anhıl Cansalis, *Tarihu'l-Fikri'l-Endelusî*, Trc. Huseyn Mu'nis, Mektebetü's-Sakafeti'd-Diniyye, Mısır, 1955.

4. ابن بسَّام، أبو الحسن علي بن بسَّام الشنتريني ت542هـ، الذَّخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق د. إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، 1979م.

İBN BESSAM, Ebu'l-Hasan Ali b. Bessam eş-Şenterinî, *Ez-Zehire fi Mehasini ehli'l-Cezire*, Thk. İhsan Abbas, Daru's-Sakafe, Beyrut, 1979.

5. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حمَّاد ت 393هـ، الصِّحاح تاج اللغة وصِحاح العربيَّة، تحقيق أحمد عبد الغفور عطَّار، نشر دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987م.

EL-CEVHERÎ, Ebu Nasr İsmail b. Hammad, *es-Sihah Tacu'l-Luğa ve Sihahul-Arabiyye*, Thk. Ahmed Abdul-Ğefur Attar, Neşru Dari'l-İlmi li'l-Melayin, Beyrut, 1987.

6. ابن حزم الأندلسي، أبو محمَّد علي بن أحمد ت 456هـ، جمهرة أنساب العرب، تحقيق لجنة من العلماء، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 2001م.

İBN HAZM EL-ENDELUSÎ, Ebu Muhammed Ali b. Ahmed, *Cemheretu Ensabi'l-Arab*, Thk. Heyet, Daru'l-Kutubi'l-İlmiyye, Beyrut, 2001.

7. الحميدي محمَّد بن أبي نصر ت 448هـ، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983م.

EL-HUMEYDÎ, Muhammed b. Ebu Nasr, *Cezvetu'l-Muktebis fi Tarihi Ulemi Endelus*, Thk. İbrahim el-Ebyarî, Daru'l-Kitabi'l-Lubnanî, Beyrut, 1983.

8. ابن حيَّان القرطبي، حيَّان بن خلف ت 469هـ، المقتبس من أنباء الأندلس، تحقيق د. محمود علي مكي، نشر المجلس الأعلى للشُّؤون الإسلاميَّة، القاهرة، 1390 هـ.

İBN HAYYAN EL-KURTUBÎ, Hayyan b. Halef, *El-Muktebis min Enbai'l-Endelus*, Thk. Mahmud Ali Mekki, Neşru'l-Meclisi'l-A'la li'ş-Şuuni'l-İslamiyye, Kahire, 1390.

9. ابن خلدون، عبد الرَّحمن محمَّد بن محمَّد الإشبيلي ت 808 هـ، تاريخه المسمَّى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشَّأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة وسهيل زَكَّار، دار الفكر العربي، بيروت، ط2، 1988م.

İBN HALDUN, Abdurrahman Muhammed b. Muhammed el-İşbilî, *Divanu'l-Mübtedei ve'l-Haber fi Tarihi'l-Arabi ve'l-Berber ve men 'Asarahum min Zevi'ş-Şe'ni'l-Ekber*, Thk. Halil Şehade, Suheyl Zekkar, Daru'l-Fikri'l-Arabi, Beyrut, 1988.

10. ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسن ت 633هـ، المُطْرِب من أشعار أهل المَغْرب، تحقيق إبراهيم الأبياري وغيره، دار العلم للجميع، بيروت، 1955م.

İBN DIHYE, Ebu'l-Hattab Ömer b. Hasan, *el-Mutrib min Eş'ari Ehli'l-Meğrib*, Thk. İbrahim el-Ebyarî, Daru'l-İlmi li'l-Cemî', Beyrut, 1955.

11. ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى المغربي ت 685هـ، المُغْرب في حُلى المَغْرب، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1955م.

İBN SAID, Ebu'l-Hasan Ali b. Musa el-Meğribî, *el-Muğrib fi hula'l-Meğrib*, Thk. Şevki Dayf, Daru'l-Maarif, Kahire, 1955.

12. ابن عذاري، أبو عبد الله محمد بن محمد المرَّاكشي ت نحو 695هـ، البيان المُغْرب في أخبار الأندلس والمَغْرب، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1983م.

İBN 'AZARÎ, Ebu Abdullah Muhammed b. Muhammed el-Merrakeşî, *el-Beyanu'l-Muğrib fi Ahbari'l-Endelus ve'l-Meğrib*, Thk. Kolan, Livi Profinsal, Daru's-Sakafe, Beyrut, 1983.

13. ابن العماد، شهاب الدِّين أبو الفلاح عبد الحيِّ بن أحمد الدمشقي، شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب، تحقيق محمود أرناؤوط، وأشرف على تحقيقه وخرَّج أحاديثه الشيخ عبد القادر أرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1986م.

İBNU'L-İMAD, Şihabuddin Ebu'l-Felah Abdulhayy b. Ahmed ed-Dimeşkî, *Şezeratü'z-Zeheb fi Ahbari men Zeheb*, Thk. Mahmud Arnaut, Daru İbn Kesir, Dımaşk, 1986.

14. عنان، محمَّد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م.

'Anan, Muhammed Abdullah, *Devletu'l-İslam fi'l-Endelus*, Mektebetu'l-Hanecî, Kahire, 1997.

15. كولان، الأندلس، ترجمة إبراهيم خورشيد وغيره، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلاميَّة، نشر دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1980م.

KOLAN, el-Endelus, Trc. İbrahim Murşid, *Dairetu'l-Maarfi'l-İslamiyye*, Daru'l-Kitabi'l-Lubnani, Beyrut, 1980.

16. لسان الدّين بن الخطيب، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله السَّلماني الغرناطي الأندلسي ت 776 هـ، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمَّد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط،1، 1977م.

LISANUDDIN B. EL-HATIB, Ebu Abdullah Muhammed b. Abdullah es-Selmanî el-Ğırnatî el-Endelusi, *el-İhata fi Ahbri Ğırnata*, Thk. Muhammed Abdullah ‘Anan, Mektebetu’l-Hanecî, 1977.

17. المراكشي، عبد الواحد بن علي التميمي ت 647هـ، المُعْجِب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2006م.

EL-MERRAKEŞÎ, Abdulvahid b. Ali et-Temimî, el-Mu’cib fi Telhîsi Ahbari’l-Meğrib, Thk. Salahaddin el-Hevvarî, el-Mektebetu’l-Asriyye, Beyrut, 2006.

18. المَقَّرِيُّ، شهاب الدّين أحمد بن محمَّد التِّلِمْساني، نفح الطِّيب من غصن الأندلس الرَّطيب وذِكْرِ وزيرِها لسان الدّين بن الخطيب ت 1041هـ، تحقيق إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت، 1997م.

EL-MEKKARÎ, Şihabuddin Ahmed b. Muhammed et-Tilimsanî, Nefhu’t-Tîb min Ğusni’l-Endelusi’r-Ratib ve Zikri Veziriha Lisanuddin b. Hatib, Thk. İhsan Abbas, Daru Sadır, Beyrut, 1997.

19. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ت 626هـ، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م.

20. YAKUT EL-HEMEVÎ, Şihabuddin Ebu Abdullah Yakut b. Abdullah er-Rumî el-Hemevî, *Mu’cemu’l-Buldan*, Daru Sadır, Beyrut, 1995.
21. ANTONIO GUZMAN REINA, *Politica Milicia en el Andalus*, Cordoba, 1969.
22. R.CASTEJON, *Excavaciones del plan nacioual*, Madrid, 1943.